فـــي الديـــن و الحيـــاة. . . مقاربـــات نفسانيـــــة (7)

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiReligion&Life7.pdf

د. صـــــادق السامرائـــــي
أمريكـــا – العـــراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

الديـــــن والديمقراطيـــــــــــة!!

عندما يكون الدين حزبا فأنه ربما لن يحقق خيرا , فالدين ليس حركة سياسية وإنما رسالة إنسانية أخلاقية لتهذيب السلوك البشري , وتحقيق معايير التفاعل الإنساني العادل.

وحينما يتحوّل الدين إلى حزب أو ينغلق في مدرسة أو مذهب , فأنه يفقد الكثير من عناصره الأساسية ويتحقق فيه الإنحراف ، وينتقل إلى مرحلة مضادة لعقيدته ومنهجه ويخرج من إطار الدين إلى ضده ، وهذا ما تجلبه الأحزاب الدينية على دينها.

الأحزاب الدينية مضرة بالديمقراطية ومحطمة لمعانيها ومبادئها ومجرِّدة لها من أخلاقها، لأنها تفقد أخلاقها الدينية عدما تمسك بالحكم، حيث تسعى نحو مطامعها اللادينية وتبدّل عقيدتها وحتى قدوتها، وربما تكون ضد دينها وما كانت تدّعيه قبل ولوجها معترك الصراع على السلطة أو مراكز القوة، شأنها شأن أي حزب سياسي آخر ينكر عقيدته ومبادئه في حمام السلطة الناري.

ولا توجد ديمقراطية ناجحة في العالم تعبّر عنها أحزاب دينية وطائفية وفئوية ومذهبية , ومدارس دينية منغلقة محدودة الرؤى متزمتة لا تعرف المرونة والحوار، وإنما تتفاعل بوسائل ذات حدين لا ثالث بينهما.

فالأحزاب الدينية عندما تكون في السلطة تنسى دينها، ويكون الكرسي عقيدتها ومذهبها ودينها , فتتجاهل وطنها ولا تعترف بإنتماء صحيح وأصيل إليه ، وإنما تنتمي إلى حالة أخرى وفقا لمناهجها وعقائدها المتصلة بشيئ آخر.

والديمقراطية حركة وطنية أخلاقية إنسانية إجتماعية تهتم بمصالح الوطن وتراعي التعبير عن إرادة مواطنيه ، فيما يتصل بسعادتهم وتقدمهم والحفاظ على حقوقهم وتوفير الأمن والسلامة لهم.

ووفقا لهذا فأن الأحزاب الدينية تأكل الديمقراطية وتفرّغها من محتواها وعقيدتها وتخنقها في عقائدها ومناهجها، وهذا يعني أن الديمقراطية تتحول إلى وسيلة للخراب ومسرحا للصراعات الدامية الحامية ، ما بين التصورات والنظريات الدينية التي ينتمي إليها أصحابها بإنفعال عالٍ , وعواطف عمياء راسخة لا يمكنها أن ترى لونا غير لونها، ولا تستطيع أن تقترب من الحياة إلا وفقا لإرادة

عندما يكون الدين حزبا فأنه ربما لن يحقق خيرا , فالدين ليس حركة سياسية وإنما رسالة إنسانية أخلاقية لتهذيب السلوك البشري , وتحقيق معايير التفاعل الإنساني العادل

ينتقل إلى مرحلة مضادة لعقيدته ومنهجه ويخرج من إطار الدين إلى ضده ، وهذا ما تجلبه الأحزاب الدينية على دينها

الأحزاب الدينية مضرة بالديمقراطية ومحطمة لمعانيها ومبادئها ومجرِّدة لها من أخلاقها، لأنها تفقد أخلاقها الدينية عدما تمسك بالحكم

لا توجد ديمقراطية ناجحة في العالم تعبّر عنها أحزاب دينية وطائفية وفئوية ومذهبية , ومدارس دينية منغلقة محدودة الرؤى متزمتة لا تعرف المرونة والحوار، وإنما تتفاعل بوسائل ذات حدين لا ثالث بينهما

الحزب , وطاقة الجماعة الفوارة التي تعمه معها في صيرورة إنفعالية متقدة، تؤججها القيادات الساعية إلى تحقيق أقصى أهدافها ومراميها الذاتية ورغباتها الشرسة في أكثر الأحيان.

ولهذا فأن العلاج الشافي للديمقراطية هو إخراج الأحزاب الدينية من مسيرتها , وتحريرها من سلطة المذاهب والطوائف والإنتماءات التابعة لغير وطنها.

ولكي تكون الديمقراطية بعافية وتعبر عن معانيها ومعاييرها لا بد لها أن تشفى من داء الأحزاب الدينية.

وما يحصل في بعض البلدان هو إجهاض للديمقراطية وتمريغ لها في وحل الأفكار الدينية وترحيلها إلى غير أهدافها ومراميها.

ولهذا فأن القوى التي تسعى بصدق وعزيمة لإرساء تجربة ديمقراطية حقيقية، ستقف بقوة وحزم ضد الأحزاب الدينية في محاولة لتطهير الديمقراطية من هذه الأوبئة التي أصابتها بمقتل، ودفعت بها في دروب الإنحراف والخراب والدمار والإنفجارات البغيضة.

فالدول المتقدمة عندما سعت إلى تأسيس تجربتها الديمقراطية نأت عن الدين وأحزابه ، لأنها تعلمت بالتجربة المريرة القاسية أن الأحزاب الدينية تعني سفك الدماء والجرائم البشعة، وقد عاشتها أوربا طويلا وتعبت منها كثيرا جدا.

وفي بلاد المسلمين يتم التستر بالديمقراطية، ولكن لا يستطيع أحد أن يفكر بعزل الأحزاب الدينية عنها لأن المجتمع قد لا يرى غير ذلك.

ولهذا فأن الديمقراطية ستكون عليلة ومؤذية وتصاحبها الكثير من الويلات ، وتترافق مع الفقر والتدهور الإقتصادي والحضاري , وزيادة السجون والمعتقلات والإمعان بالفتك بحقوق الإنسان,

لأنها تصبح مسخّرة لأحزابٍ معممة ذات لحى وأتباع يركضون كالعميان وراء مَن ينعق بفتوى مغرضة ، وعليهم أن يكونوا تابعين لهذا أو ذاك , وينكرون مسؤوليتهم ومصلحتهم وحرية رأيهم وتفكيرهم وفهمهم لدينهم وقرآنهم ورسالة نبيهم.

أحزاب محشوة بقطيع من الجهلة المغرر بهم، والمغسولة أدمغتهم في حلقات الإفتراء على الدين والإبتعاد عن الله ورسوله وكتابه والتمحور حول مواضيع ذات أغراض سيئة ، لكنها تبدو بقناع الدين المشوّه المبتور عن أصله وينبوع عقيدته السمحاء.

ويبدو من خلال مسيرة التفاعلات التأريخية أن العلاقة بين الديمقراطية والدين غير موفقة وتشوبها الكثير من النتائج السلبية القاسية المضرة بالحالتين.

فأصل الدين الرضوخ لثوابت لا تقبل النقاش العقلي أو المحاجة، وإنما تكون كل عقيدة مسبوقة بإيمان قوي بوجه آليات التفكير البشري , لكي تحقق ما يبررها ويسوغ التفاعل معها والتضحية في

الأحزاب الدينية عندما تكون في السلطة تنسى دينها، ويكون الكرسي عقيدتها ومذهبها ودينها

الأحزاب الدينية تأكل الديمقراطية وتفرّغها من محتواها وعقيدتها وتخنقها في عقائدها ومناهجها

لكي تكون الديمقراطية بعافية وتعبر عن معانيها ومعاييرها لا بد لها أن تشفى من داء الأحزاب الدينية

الدول المتقدمة عندما سعت إلى تأسيس تجربتها الديمقراطية نأت عن الدين وأحزابه

في بلاد المسلمين يتم التستر بالديمقراطية، ولكن لا يستطيع أحد أن يفكر بعزل الأحزاب الدينية عنها لأن المجتمع قد لا يرى غير ذلك

أحزاب محشوة بقطيع من الجهلة المغرر بهم، والمغسولة أدمغتهم في حلقات الإفتراء على الدين والإبتعاد عن الله ورسوله وكتابه والتمحور حول مواضيع ذات أغراض سيئة ، لكنها تبدو بقناع الدين المشوّه المبتور عن أصله وينبوع عقيدته السمحاء

أصل الدين الرضوخ لثوابت لا تقبل النقاش العقلي أو المحاجة، وإنما تكون كل عقيدة مسبوقة بإيمان قوي بوجه آليات التفكير البشري

سبيلها.

أما الديمقراطية فأنها لا تشترط الإيمان المسبق بالفكرة التي يتم التحاور حولها، وهناك مرونة مقبولة في الحوارات الديمقراطية , وتزمت وصلابة صارخة في الحوارات المرتبطة بالأديان، لأنها تزعزع الجهاز العاطفي المشحون بالإنفعالات المحتقنة.

ولأن الإرتباط بالعقائد الدينية لا يتصل بالعقل والمنطق، وإنما بحالات نفسية وذهنية أخرى غير قابلة للمساءلة والنقاش.

فترى مَن ربه قرد أو بقرة أو ثعلب أو فأرة أو شجرة وغير ذلك الكثير، ولا تجد سبيلا واضحا للدخول معه في نقاش عن جدوى وفائدة ومعنى هذا الرب ومغزى دينه ، لكنه بعيدا عن ذلك الموضوع تراه يتمتع بقدرة التعامل الديمقراطي الناجح.

فلو أخذنا الهند مثلا والتي فيها ديانات متعددة وآلهة أو أرباب كثيرون، نجد أنها تؤسس لأكبر تجربة ديمقراطية في تأريخ البشرية ، وهي لا تقحم الدين في أروقة الديمقراطية، لأن الدين له شأن وغايات ودواعي، والديمقراطية لها ما يبررها .

وكذلك في اليابان وغيرها من الدول الديمقراطية الناجحة.

أما في بلداننا فأننا نقحم العمامة في الكرسي ونصنع أحزابا معممة ذات لحى يتحرك المنتمون إليها وفقا لإرادة الفتوى , فيتحولون إلى وجود منزوع الإرادة ومسخر لتحقيق غاية فردية تبدو وكأنها دينية.

ولهذا فأن التجربة الديمقراطية تصاب بالكثير من الأخطاء , وتغتالها الديكتاتورية وتتفوق عليها لأنها تحقق الإستقرار والأمن أكثر من الديمقراطية، التي تفتح أبواب المشاكل ولا تعرف الوصول إلى حل مقبول وناجح لها، وقد رأينا ذلك في العديد من بلداننا التي تمرغت بالويلات القاسيات، والعلة هو غياب القدرة على إبتكار الوسيلة المعاصرة لإنشاء أحزاب ذات منطلقات دينية قادرة على التفاعل الديمقراطي، مثلما حصل في تركيا التي إستطاعت أن توظف الديمقراطية لتحقيق أهدافها الوطنية ، وأن تبقي العمامة على منأى من الكرسي , فظهرت فيها أحزاب ذات فهم معاصر لدور الدين في العملية الديمقراطية.

والتجربة الحالية في تركيا تؤكد هذا النضج الفكري والإرتقاء السياسي الإقتصادي , الذي أوجد صيغة مثلى للتعايش ما بين الديمقراطية والدين.

وقد نجحت تركيا في ترسيخ الديمقراطية بأسلوب متقدم وأسست معايير تفاعل إجتماعي ديمقراطي يكفل الحقوق والواجبات، ويساهم في تأسيس أحزاب ذات مفاهيم دينية , لكنها ليست دينية بالمعنى الذي نفهمه ونراه في مجتمعاتنا المنغلقة الضيقة , وإنما أحزاب ذات منطلقات سياسية ديمقراطية

أما الديمقراطية فأنها لا تشترط الإيمان المسبق بالفكرة التي يتم التحاور حولها، وهناك مرونة مقبولة في الحوارات الديمقراطية , وتزمت وصلابة صارخة في الحوارات المرتبطة بالأديان

الإرتباط بالعقائد الدينية لا يتصل بالعقل والمنطق، وإنما بحالات نفسية وذهنية أخرى غير قابلة للمساءلة والنقاش

لو أخذنا الهند مثلا والتي فيها ديانات متعددة وآلهة أو أرباب كثيرون، نجد أنها تؤسس لأكبر تجربة ديمقراطية في تأريخ البشرية ، وهي لا تقحم الدين في أروقة الديمقراطية

العلة هو غياب القدرة على إبتكار الوسيلة المعاصرة لإنشاء أحزاب ذات منطلقات دينية قادرة على التفاعل الديمقراطي، مثلما حصل في تركيا التي إستطاعت أن توظف الديمقراطية لتحقيق أهدافها الوطنية

التجربة الحالية في تركيا تؤكد هذا النضج الفكري والإرتقاء السياسي الإقتصادي , الذي أوجد صيغة مثلى للتعايش ما بين الديمقراطية والدين

نجحت تركيا في ترسيخ الديمقراطية بأسلوب متقدم وأسست معايير تفاعل إجتماعي

معاصرة متفقة مع العقيدة الإسلامية.

ونحن لا يمكننا أن نؤسس لتجارب ديمقراطية ذات معاني حضارية إن لم نستلهم التجارب الناجحة ونستوعبها، ونرتقي بنفوسنا وعقولنا إلى القدرة على المواءمة ما بين الدين والديمقراطية كمنهج سياسي يستوعب جميع الإختلافات.

وبسبب هذا الفشل الكبير والعجز الواضح، أزهقت تجاربنا روح الديمقراطية وجردتها من أخلاقها ومعاييرها , وحوّلتها إلى مرتع للفساد والنهب والسلب وسفك الدماء وتنمية الفقراء والجياع والمحتاجين والمهجّرين.

إن الإسلام المنغلق ليس ديمقراطيا , وإنما يمتلك نزعة إستبدادية إستعلائية تقر بإمتلاك الحقيقة المطلقة، ولا يمكنه أن يتفاعل بعقلانية حضارية مع غيره.

أي أنه عبارة عن كراسي مطلقة الصلاحيات لا يجوز لأحد أن يناقش رأيها، وقد جرت هذه الحالة على مدى القرون، ومنذ أواخر دولة الخلفاء الراشدين، وإنتهت على ما إنتهت إليه من نتائج وتداعيات لا زالت تؤثر في مسيرة الأجيال وتقيّد رؤاها وتفكيرها.

وقد كانت المشكلة الأساسية في البحث عن معادلة ناجحة ما بين الإسلام والسلطة، لكن المحاولات إنتهت إلى حالتين متناقضتين لا وسط بينهما.

ولكي نتحقق علينا أن نجد وسيلة جديرة بالمعاصرة، تتمكن من حل المعضلة التي ورثناها وتدهورت أحوالنا بسببها.

وهكذا فأن الأحزاب الدينية تناهض آليات الديمقراطية , التي تحتاج إلى أحزاب وطنية ذات منطلقات وقيم دينية في الدول الإسلامية.

أما الأحزاب الطائفية فأنها العدو الأكبر للديمقراطية، وتلك حقيقة تأريخية تعرفها جميع الدول الديمقراطية المعاصرة.

ويبقى السؤال الذي لم ينكشف جوابه بعد، رغم بعض التصورات والتحليلات، هو لماذا القوى الديمقراطية العريقة قد جلبت جميع قدرات إجهاض الديمقراطية التي تعرفها جيدا , ووضعتها في تجربة تدّعي بأنها ستكون نموذجا في المنطقة؟!

ديمقراطي يكفل الحقوق والواجبات، ويساهم في تأسيس أحزاب ذات مفاهيم دينية , لكنها ليست دينية بالمعنى الذي نفهمه ونراه في مجتمعاتنا المنغلقة الضيقة , وإنما أحزاب ذات منطلقات سياسية ديمقراطية معاصرة متفقة مع العقيدة الإسلامية

لا يمكننا أن نؤسس لتجارب ديمقراطية ذات معاني حضارية إن لم نستلهم التجارب الناجحة ونستوعبها

هكذا فأن الأحزاب الدينية تناهض آليات الديمقراطية , التي تحتاج إلى أحزاب وطنية ذات منطلقات وقيم دينية في الدول الإسلامية

أما الأحزاب الطائفية فأنها العدو الأكبر للديمقراطية، وتلك حقيقة تأريخية تعرفها جميع الدول الديمقراطية المعاصرة

هو لماذا القوى الديمقراطية العريقة قد جلبت جميع قدرات إجهاض الديمقراطية التي تعرفها جيدا , ووضعتها في تجربة تدّعي بأنها ستكون نموذجا في المنطقة؟!

إرتباطات ذات صلة

في الديـــن و الحيـــاة . . مقاربـــات نفسانيـــة (6)
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiReligion&Life6.pdf

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد
ArabPsyFound